تعليم لغةٍ في قيد التحول[i]: تأنيثُ مسمّيات المهن[ii] في تعليمية الفرنسية بوصفها لغةً أجنبية*

تأليف: إليونور دو بومون
جامعة لوران ـ فرنسا

ترجمة: سعيدة كحيل

1. مقدمة

يُعدّ تأنيث مسميات المهن من أسرع التحوّلات التي شهدتها اللغة الفرنسية في العقود الأخيرة. فمنذ صدور أولى التوصيات الرسمية بهذا الشأن في كيبيك عام 1979، وصولًا إلى اعتراف الأكاديمية الفرنسية بها في عام 2019، أخذت هذه الظاهرة تفرض نفسها تدريجيًّا في الاستعمال اللغوي. ففي سنة 1991، وبينما كانت الأكاديمية الفرنسية، لا تزال تُعارض بشدّة هذا التوجّه، عُيّنت إديث كريسون (Édith Cresson) في منصب «رئيس الوزراء» (Premier ministre) بصيغة المذكّر. أما في عام 2022، ورغم تساؤل عدد من الوسائل الإعلامية في البداية ـ مثل صحيفة لوفيغارو (Le Figaro): «هل إليزابيت بورن رئيسة أم رئيس للوزراء؟» (16 مايو 2022[1]) ـ فسرعان ما فرضت صيغة «رئيسة الوزراء (Première ministre)» نفسها. وهكذا، وفي غضون ثلاثة عقود فقط، يبدو أنّ صيغة التأنيث أصبحت مقبولة نسبيا لدى الناطقين بالفرنسية، حتى في فرنسا، حيث كان الثقل الرمزي للأكاديمية الفرنسية

*** العنوان الأصلي للمقال:**

Éléonore de Beaumont, « Enseigner une langue qui évolue : la féminisation des noms de métiers en didactique du FLE », Lidil [En ligne], 69 | 2024, mis en ligne le 01 mai 2024, consulté le 09 avril 2025. URL : http://journals.openedition.org/lidil/12663 ; DOI : https://doi.org/10.4000/lidil.12663

عائقًا أمام هذا التطوّر لمدة طويلة، مقارنةً بالمناطق الفرنكوفونية[iii] الأخرى في الشمال العالمي.

تمثّلُ هذه التحوّلات قضية محورية في تعليم الفرنسية بوصفها لغةً أجنبية، ولاسيّما بالنسبة لهيئة التدريس التي ينبغي عليها أن تكيّف خطابها بالاستناد إلى استعمالات الناطقين بالفرنسية. وهي دعوة إلى إعادة النظر في مدى تأثير الهيئات اللغوية المرجعية - خاصة الأكاديمية الفرنسية أو المعاجم - على الممارسات التعليمية في تدريس الفرنسية لغير الناطقين بها. كما تفرز هذه التحوّلات وضعًا لغويًا تتجاور فيه معايير صغرى متنافسة، ونمثل له بما يُلاحظ من تردّد بين صيغ: auteure، une auteur، autrice. ومن هنا، تُطرَح جملةٌ من التساؤلات: هل تأخذ تعليمية الفرنسية بوصفها لغة أجنبية في الحسبان هذا التطوّر الحديث للفرنسية؟ وكيف يتمّ تقديم مسمّيات المهن بصيغتها المؤنثة في البرامج التعليمية؟ وكيف تُعيد هذه التحوّلات صياغة العلاقة بين المعيارية اللغوية والهيئات التقنينية في إطار تعليم الفرنسية وتعلُّمها بوصفها لغة أجنبية؟ ينبني هذا المقال على دراسة ميدانية أُنجزت خلال عامي 2021 و2022، ضمن مقاربة نوعية ترتكز على عدّة أدوات منهجية مفصّلة في القسم (1.3). شملت مقابلات فردية ومجموعات نقاش شبه موجَّه مع عشر معلّمات ومعلّمين، وواحد وعشرين متعلّمة ومتعلّمًا للفرنسية بوصفها لغة أجنبية، إضافة إلى مجموعة نقاش أُجري مع ثلاث مدرسات ومدرسين للفرنسية أثناء تحضيرهم لحصّة تعليمية من المستوى الأول A1 حول مسمّيات المهن، كما استُكملت المعطيات بتحليل محتوى خمسة سندات تعليمية استُخدمت فعليًّا أو أُشير إليها من قبل أفراد العينة التعليمية.

2. تأنيث مسمّيات المهن: تحديات سياسية واجتماعية لتحوّلٍ حديث في اللغة الفرنسية

لقد بيّن اللسانيون على نطاق واسع أن تأنيث مسمّيات المهن لا يُعدّ، في جوهره، مسألةً نحوية، بل هو في المقام الأول قضية اجتماعية وسياسية:

« إن تحقيق المساواة في المعجم لا يُعدّ، في جوهره، مسألة لغوية أو حتى نحوية. ذلك أن عددًا كبيرًا من الأسماء المؤنثة التي تُطلق على المهن والألقاب والرتب والوظائف موجود سلفاً في اللغة، فيما تُشتقّ

الصيغ الأخرى بسهولة. إنما كانت هذه الصيغ كامنة وغير مُفعّلة، وما حال دون استعمالها لم يكن النحو، بل الشروط الاجتماعية التي أخّرت تداولها.» (Cerquiglini et coll.، 1999، ص 8)

إن العودة إلى «الظروف الاجتماعية» التي شكّلت تاريخيًّا أنماط استخدام الصيغ المؤنثة لمسمّيات المهن، لا تُعدّ بالضرورة ذات صلة مباشرة بمجال تعليمية الفرنسية لغةً أجنبية، الذي ينصبّ اهتمامه أساسًا على الاستعمال الراهن في اللغة الفرنسية المعاصرة .ومع ذلك، فإنّ مسألة "غياب" بعض الأسماء المؤنثة - سواء أكان هذا الغياب حقيقيًا أم مزعومًا- تبرز باستمرار خلال الممارسة الصفّية، من قبل المتعلّمين والمدرّسين على حد سواء، كما كشفت نتائج دراستي الميدانية؛ وعليه، فمن المفيد العودة بإيجاز إلى خلفيات هذه الإشكالية.

1.2. الصيغ المؤنثة لمسمّيات المهن الرفيعة: موضوعٌ لخطابٍ إيديولوجي

أظهرت أبحاث اللسانيات التاريخية أن اشتقاق الصيغ المؤنثة في اللغة الفرنسية يتمّ بسهولة، على غرار ما كان عليه الأمر في اللاتينية من خلال تناوب اللواحق[iv] (alternance suffixale)، وهو ما يُمارسه الناطقون بالفرنسية دون عناء يُذكر. ويُبيّن سيركيلييني (Cerquiglini) وزملاؤه (1999)أنّ هذه الصيغ كانت حاضرة منذ زمن بعيد في نصوص تعود إلى العصور الوسطى، سواء فيما يتعلّق بالمهن ذات المكانة الاجتماعية المتواضعة (مثل: tavernière [ساقية الحانة]، marchande [بائعة]) أو تلك التي كانت تُعدّ من المهن الرفيعة والمعتبرة (مثل : mairesse[رئيسة بلدية]، medecines [طبيبات]، cirurgienne [v] [جرّاحة]). وقد بيّنت كلّ من إيفان (Évain، 2008) وفييو (Viennot، 2014) كيف أنّ الصيغ المؤنثة المرتبطة بالمناصب الاجتماعية الرفيعة كانت، على مرّ الزمن، موضوعًا لخطابٍ إيديولوجي ذي طابع تمييزي ضد النساء، ساهم - بحسب تحليلهما - في اندثار تدريجي لهذه الصيغ من الاستعمال الفعلي في الفضاء الفرانكفوني. أوردت فييو (2014) مثالًا على ذلك من كتاب أندري دو بوازريغار (Andry de Boisregard) الصادر سنة 1689، حيث جاء فيه ما يلي:

« يجب أن يُقال : هذه المرأة شاعر، وفيلسوف، وطبيب، ومؤلّف؛ ولا يُقال : poétesse [شاعرة]، philosophesse [فيلسوفة]، وmédecine [طبيبة]، وautrice [مؤلّفة]، و peintresse [رسّامة]، إلى آخره. » (ص 228، أورده فيينو، 2014، ص 50).

ونجد المنطق ذاته بعد مرور ما يقارب مئة وخمسين عامًا، في الطبعة الأولى من كتاب القواعد القومية (Grammaire nationale) لـ بِشَرلِ (Bescherelle):

« رغم وجود عدد كبير من النساء اللواتي يُدرّسن، أو يَنقُشن، أو يؤلفن، أو يترجمن، وما إلى ذلك، فإننا لا نقول : professeuse[معلّمة]، وgraveuse [نقّاشة]،وcompositrice [مؤلّفة موسيقية] ، وtraductrice [مترجمة]، بل نقول: professeur [أستاذ]، و graveur[نقّاش]، و compositeur[مؤلّف]، وtraducteur]مترجم]، إلخ، وذلك لأن هذه الكلمات لم تُصغ أساسًا إلا للإشارة إلى الرجال الذين يمتهنون هذه المهن.» . » (ص 38، أورده فيينو، 2014، ص 59).

تُظهر هذه الاقتباسات عدّة أمور بالغة الأهمية: (1) أولا : أنّ النساء مارسن هذه المهن منذ زمن بعيد؛ (2) ثانيا : أنّ صيغًا مؤنثة، منتظمة من حيث البنية الصرفية، كانت تُستعمل للإشارة إليهن منذ وقت طويل - بل إنّ استشهاد النحويين بهذه الصيغ بصفتها "خاطئة" يُعدّ في حدّ ذاته دليلًا على أنّها كانت رائجة ومُتداولة في الاستعمال؛ (3) ثالثا وأخيرًا : أنّ هذه الصيغ المؤنثة، التي تُطلق على مهن ذات مكانة اجتماعية مرموقة، كانت موضعَ خطابٍ تمييزي قائم على التحيّز الجنسي، صاغه أشخاص كانوا يتمتّعون بسلطة لغوية مكّنتهم من التأثير في أنماط الاستعمال.

2.2. تحد سياسي واجتماعي

لقد استُخدمت حجّتان أساسيتان لمعارضة استعمال بعض الصيغ المؤنثة في مسمّيات المهن. يتمثّل أوّل هذه الحجج في الادّعاء بأنّ بعض المهن لا تليق بالنساء؛ غير أنّ هذا الطرح قد تراجع تدريجيًّا مع تطبيع دخول النساء إلى عدد كبير من هذه المهن خلال القرن العشرين. وترى

ميشيل (Michel، 2016) أنّ تأنيث المسميات المهنية ينبع، في هذا السياق، من «رغبة في إعادة التوازن إلى اللغة؛ إذ يتمثّل الهدف في جعل حضور النساء في سوق العمل أكثر وضوحًا ومرئيّة، من خلال الاستناد تحديدًا إلى العلاقة المعلّلة بين الجنس البيولوجي والنوع النحوي في تسمية الأشخاص »(ص 101).

الحجّة الثانية تتمثّل في ما يُعرف بـالقيمة التعميمية للمذكّر، أي قدرته على الإشارة إلى الأشخاص من كلا الجنسين. فوفقًا للأكاديمية الفرنسية (2014)، فإنّ عبارة «وزير» (un ministre) يمكن أن تُحيل إلى رجل أو امرأة على حدّ سواء. غير أنّ هذه الحيادية النحوية تُثير تساؤلًا جوهريًّا وفق هذا الطرح: هل تُفضي فعلًا إلى حيادية مماثلة في تمثّلاتنا الذهنية؟ تشير دراسات حديثة في علم النفس اللغوي (Brauer, 2008; Chatard-Pannetier et coll., 2005; Gygax et coll., 2019; Richy & Burnett,2021) إلى عكس ذلك تمامًا، إذ تبيّن أن هذه "القيمة التعميمية" المزعومة تُنتج في الواقع تمثّلات يغلب عليها الطابع الذكوري.« [...] إنَّ النوع النحوي المذكّر في اللغة الفرنسية يُحدث انحيازًا ذكوريًّا في تأويل المركّبات الاسمية الدالّة على البشر، وهو انحياز يتجاوز مجرّد الصور النمطية، رغم أن لهذه الصور دورًا في ذلك أيضًا. » (Richy & Burnett, 2021, § 6) ولذلك انعكاسات مهمّة؛ فقد بيّنت دراسة شاتار-بانيتييه وآخرين (Chatard-Pannetier, 2005) أن الفتيات المراهقات يبدين ثقة أكبر في قدراتهن على النجاح الدراسي عندما تُقدَّم لهن المهن بصيغتي المذكر والمؤنث معًا، مقارنةً بما إذا قُدِّمت حصريًّا بصيغة المذكّر فقط.

3.2. تحوّل حديث: السياسات اللغوية وأنماط الاستعمال

انبثقت أولى السياسات اللغوية الهادفة إلى تأنيث مسمّيات المهن في كندا (Arbour et coll.، 2014، ص 32)، ففي عام 1979، أصدر المكتب الكيبيكي للغة الفرنسية (Office québécois de la langue française – OQLF) أولَ توصية رسمية تُشجّع على تأنيث أسماء المهن والألقاب والوظائف، تلتها لاحقًا إصداراتٌ إجرائية في شكل دليلين توجيهيين، أحدهما سنة 1986، والثاني سنة 1990. وقد أوصت بالتخلي عن بعض الاقتراحات الأوّلية، كاستخدام تراكيب اسمية مكوّنة من لفظة

«امرأة» مضافةً إلى المسمّى المهني مثل: (femme-ingénieurأي "امرأة مهندسة")، لصالح توليد صيغ مؤنثة جديدة على هيئة ألفاظ مستحدثة(néologismes) ، مثل: (ingénieure "مهندسة)". وفي السياق ذاته، أقرّ كانتون جنيف في سويسرا، سنة 1980، قانونًا يُوصي بتأنيث مسمّيات المهن في الوثائق الرسمية.

أنشئت لجنة مصطلحية مختصة بتأنيث مسمّيات المهن في فرنسا سنة 1984. غير أنّ أعمال هذه اللجنة سرعان ما تعرّضت لهجوم من قِبل الأكاديميّن دوميزيل Dumézil وليفي ستروس Lévi-Strauss، اللذين وجّها نقدًا لاذعًا في إطار خطاب تصفه أودبين-غرافو (Houdebine-Gravaud, 1999) بأنه: «خطاب سياسي تمييزي قائم على نزعة تقنينية/صفوية» (ص 44). وقد ارتكز هذا الخطاب على بلاغة تنمّ عن كراهية ضمنية للنساء، إذ هاجم أصحابُه من وصفوهنّ بـ «الساذجات المتصنّعات والسطحيات»، اللواتي «يجتمعن في موعد الشاي من أجل أن يُلبسن المفردات تنانير»؛ وذلك في إشارة تهكمية إلى محاولات تأنيث المصطلحات. (« Les cadresses oui sans le d », Le Monde, 28 avril 1984, cité par Houdebine-Gravaud, 1999, p. 44) وقد أصدرت اللجنة سنة 1986 منشورًا رسميًّا (circulaire) يُوصي باعتماد التأنيث. (وتُشير أودبين-غرافو إلى دلالة هذا المصطلح قائلة: «إنّ لفظ circulaire موفّق، إذ إنّ المنشور يُوصي ولا يُملي» (ص 38، 1999). لكن، وبالرغم من هذه التوصية، فإنّ اللجنة فقدت مصداقيتها نتيجة اعتراض الأكاديمية الفرنسية، الأمر الذي حال دون تطبيق توصياتها على أرض الواقع.

صدر مرسوم في بلجيكا بتاريخ 21 يونيو-1993 يُوصي بتأنيث مسمّيات المهن. وفي العام التالي، قامت لجنة مكوّنة من لسانيين ونوّاب برلمانيين بنشر دليلٍ بعنوان «التحويل إلى التأنيث (Mettre au féminin) سنة 1994».

لم تعد قضية تأنيث مسمّيات المهن إلى الواجهة في فرنسا إلا سنة 1998، وذلك في أعقاب تعيين عدد من النساء في مناصب وزارية ضمن حكومة جوسبان، حيث طالبن بأن يُنادى عليهنّ بلفظ «السيدة الوزيرة (Madame la ministre)»، خلافًا لما كانت توصي به الأكاديمية الفرنسية، التي كانت تصرّ على الصيغة«Madame le ministre»)

السيدة الوزير). وقد دفع هذا التطوّر رئيسَ الوزراء إلى إصدار منشورٍ رسميّ (circulaire)يُوصي باعتماد التأنيث في الإدارة العمومية. كما أنشأ لجنة جديدة تضمّ عددًا من اللسانيين، وقد أسفر عملها عن إصدار دليلٍ عملي سنة 1999. وقد أثارت هذه الخطوة من جديد ردود فعلٍ من قِبل الأكاديمية الفرنسية، التي أعادت التأكيد على دورها بصفتها «الوصيّة» على ما يُعرف بـ «الاستعمال» (2014)، أو بالأحرى على «الاستعمال السليم» (le bon usage) (ص 4، 2014).

ورغم أنّ الأكاديمية الفرنسية لا تضمّ في عضويتها أيّ اختصاصي في اللسانيات، وبالتالي فهي تفتقر من الناحية العلمية إلى الشرعية اللازمة للتدخّل في القضايا اللغوية، فإنّها تظلّ مع ذلك جهةً لغوية ذات نفوذ قوي (Coady، 2020، ص 69). وعلى خلاف التوجّه المحافظ والتقنيني الذي يتّبعه أعضاء الأكاديمية، فإنّ اللجان الكندية والفرنسية والسويسرية والبلجيكية تتَّبع مقاربة هي أقرب إلى اللسانيات الاجتماعية:» في بلجيكا، كما في كيبيك، تركَّز على حرية المستعملين. وعليه، يُوصى هناك بالتعايش بين الصيغ المختلفة...» (Fracchiolla, 2008, § 17)

لقد أثّرت هذه السياسات اللغوية على أنماط الاستعمال لدى الناطقين بالفرنسية. ففي عام 2005، قامت فوجيمورا (Fujimura) بدراسة خيارات الصحافة الفرنسية بين عامي 1988 و2001، ولاحظت أن عددًا من الأسماء المؤنثة - مثل "وزيرة" (ministre) أو "نائبة " (députée) – استُعملت على نحوٍ ملحوظ أكثر في فرنسا بدءًا من سنة 1998، أي منذ صدور منشور جوسبان المتعلّق بتأنيث اللغة في الإدارة. غير أنّ صيغًا أخرى، مثل "باحثة (chercheuse) "أو "أستاذة"(professeure)، ما تزال تواجه مقاومة أكبر في تقبلها واستعمالها. أما في سويسرا، فقد أجرى إلميغر (Elmiger) سنة 2008 دراسة ميدانية توصّل من خلالها إلى ما يلي:

> « يتجه الاختيار الأوّل عند تسمية امرأة نحو صيغة يتوافق فيها النوع النحوي مع الجنس البيولوجي للشخص، أي اسم مؤنث دالّ على شخص. ويجري اختيار الصيغة المؤنثة بشكل تلقائي، حتى في الحالات التي لم تكن مألوفة إلا في الآونة الأخيرة - كما هو الحال، مثلًا، مع صيغتي ministre و cheffe- (ص 251)

وفقًا لما أورده إلميغر (2008)، فإن أوّل معيار لقبول الصيغة المؤنثة هو عنصر "الاعتياد" [vi]. إذ يقول : «تُعتبر الصيغة المؤنثة، التي قد تُعدّ إشكالية من حيث المبدأ، مقبولة متى كانت مألوفة ومعروفة ومعترفًا بها كخيار لغوي سليم» (ص 251) وفي عام 2014، نشرت آربور (Arbour) وزميلاتها دراسة مقارنة تناولت أنماط الاستعمال في الصحافة بين كندا وأوروبا. وقد لاحظن وجود فروقا استعمالية بين السياقَين، أبرزها أن الصيغ المؤنثة المنتهية باللاحقة eure- تحظى بتأييد أوسع في كندا، حيث يُنظر إلى اللاحقة euse- على أنها تنطوي على دلالة قدحية أو مسيئة. ويبدو أنه لا توجد معطيات أو دراسات موثّقة بشأن استعمال الفرنكوفونيين المقيمين في بلدان غير غربية.

إن التأنيث المعجمي فيما يتعلّق بمسمّيات المهن والألقاب والوظائف يمثّل تحدياً مزدوجًا في تعليم الفرنسية بوصفها لغةً أجنبية: من جهة أولى، هو تحدٍ يتعلّق بتطوّر الخيارات البيداغوجية، بما يستدعي تكييف محتوى التدريس ليتماشى مع أحدث التحوّلات في أنماط الاستعمال اللغوي؛ ومن جهة ثانية، هو تحدٍ متّصل بتعليم ظاهرة التنوع اللغوي (variation) وتعلّمه أي إدراك تنوّع الصيغ وتعدّدها. ذلك أنّ الاستعمال ما يزال غير مستقر تمامًا بخصوص بعض الصيغ المؤنثة، كما أنّ بعض أوجه هذا التنوّع تدخل في نطاق التنوّع الدياتوبيقي[vii] (variation diatopique)، أي التنوّع الجغرافي في الاستعمال؛ فعلى سبيل المثال، تُعدّ صيغة chercheure [باحثة] أكثر شيوعًا في كندا، بينما تسود صيغة chercheuse [باحثة] في السياق الأوروبي.

3. تعليم مسمّيات المهن وتعلُّمها في ظل التأنيث: دراسة ميدانية

1.3. سياق الدراسة ومنهجيتها

يرتكز هذا المقال على دراسة ميدانية أُجريت خلال عامي 2021 و2022، في تدريس اللغة الفرنسية لغةً أجنبية في تركيا لمجموعة من الراشدين الناطقين باللغة التركية. وتكمُن أهمية اختيار هذا الجمهور في بعدين أساسيّين: الأول، إن التوجّه إلى جمهور راشد يُتيح إمكان التطرّق بعمق إلى التحديات السياسية والاجتماعية المرتبطة بتأنيث مسمّيات المهن في اللغة الفرنسية؛ والثاني، يوفّر الاشتغال مع جمهور ناطق بالتركية فرصةً بيداغوجية خاصّة، إذ تُعدّ اللغة التركية خالية من التصنيف النحوي

الجنسي (genre grammatical)، مما يُبرز الفرق البنوي الجوهري بينها وبين الفرنسية، ويُتيح دراسة التفاعل بين نظامين لغويين مختلفين في هذا الجانب.

اعتمدت هذه الدراسة الميدانية على أدوات منهجية متنوعة، تمثّلت في ما يلي:

- عشر مقابلات شبه موجَّهة مع معلّمات ومعلّمين في المعهد الفرنسي بإسطنبول، بملامح مختلفة؛ تضمّت العيّنة ثماني نساء ورجلين، تراوحت أعمارهم بين 25 و60 سنة. خمسٌ من المشاركين كانت الفرنسية لغتهم الأولى، بينما كانت اللغة الأولى لإحدى المعلّمات هي العربية، وثلاثة كانت لغتهم التركية، في حين تتقن إحدى المدرّسات الفرنسية والتركية على حدّ سواء؛
- مجموعة نقاش تضمّت ثلاث معلّمات من جامعة غلطة سراي (Galatasaray) (إسطنبول)، كنّ بصدد تحضير حصّة من المستوى الأول A1 حول مسمّيات المهن. تتراوح أعمار المشاركات في هذه المجموعة حول الثلاثين عامًا، إحداهن تتحدث الفرنسية لغة أولى، واثنتان تتحدثان التركية؛
- خمس مجموعات نقاش مع واحد وعشرين طالبًا وطالبة من الناطقين باللغة التركية، ينتمون إلى جامعة غلطة سراي (إسطنبول)، تتراوح مستوياتهم بين المتوسط والمتقدّم، وتتراوح أعمارهم بين 20 و24 سنة. وتضمّنت العيّنة: خمسة ذكور، وثلاث عشرة أنثى، وثلاثة أشخاص غير ثنائيّين؛
- تحليل محتوى خمس سندات تعليمية تمّ استخدامها أو الإشارة إليها من أفراد العيّنة من المعلّمين والمعلّمات، وتتعلّق بالصفحات المخصّصة لمسمّيات المهن باللغة الفرنسية في كل من:

Le nouveau Taxi 1 (2009), La grammaire progressive du français – niveau débutant (2010), Édito A1 (2016), Défi 1 (2018), Édito B1 (2018).

2.3. التمثّلات السلبية: مسألة "التحيّز الجنسي" للغة

أشار عدد من المعلّمات والمعلّمين إلى أنّ مسألة ما يُعرف بـ «التحيّز الجنسي» في اللغة الفرنسية تُثار باستمرار داخل الفصول الدراسية. وفيما يتعلّق بمسمّيات المهن، فإنّ ما يُثير الاستغراب بشكل خاص هو غياب الصيغة المؤنثة لاسمين على وجه التحديد: «هو طبيب، وهي طبيب» (المعلّمة 1)، و«أسماء مثل أستاذ، لا يوجد لها مكافئ مؤنث» (الطالبة 6). وتُقرّ إحدى المعلّمات بأنّ هذا الأمر يُعد إشكالا لدى المتعلمين، قائلة: «لأنّه من غير المعقول أن تكون هناك + صيغة للرجال دون أن تقابلها صيغة + للنساء»[2] (المعلّمة 1). وعندما سُئلت معلّمة أخرى عمّا إذا كانت قد تلقّت من قبل ردود فعل من الطلبة بشأن «التحيّز الجنسي» في اللغة، أجابت: «نعم، لقد واجهت هذا النوع من المواقف، وخصوصًا فيما يتعلّق بأسماء المهن. فقد + حدث وأن قالت لي إحدى الطالبات ذات مرة: هذا أمر ذكوري للغاية، لِمَ لا تتطوّر هذه المهن؟» (المعلّمة 5).

يعتمد المعلّمون والمعلّمات على تفسير ذي طابع تاريخي، فتقول إحدى المدرّسات: «وعندما [...] تقول لهم إن السبب هو أنه في الماضي لم تكن هناك نساء طبيبات ولا أستاذات، حينها ينهارون تمامًا» (المعلّمة 1). وتضيف أخرى: «أنا لا أرى في ذلك تمييزًا ضد النساء، بل التاريخ هو من صاغ هذا الواقع؛ ++ فالمرأة لا تشتغل إلا منذ مئة عام، ولذلك لا يمكن المقارنة» (المعلّمة 5). يتّضح إذًا أن المعلّمين والمعلّمات المشاركين في هذه الدراسة يستندون إلى تصورات خاطئة، ولا يملكون معرفة دقيقة بتاريخ الخطابات التمييزية الجنسية التي استهدفت مسمّيات المهن ذات المكانة المرموقة.

3.3. علاقة المعلّمات والمعلّمين بالمعيار اللغوي

لفهم الخيارات البيداغوجية التي يتّبعها المعلّمون والمعلّمات، انطلقتُ أوّلًا من دراسة علاقتهم بالمعيار اللغوي، وبالأكاديمية الفرنسية بصفتها مؤسّسة تقنينية توجيهية. وفي مستهلّ المقابلة، طرحت عليهم السؤال التالي: هل توافقون أم لا على هذه المقولة: «يجب أن تبقى اللغة في أقلّ قدر من التغيّر حفاظًا على صلتها بتاريخها» ثمانية من أصل عشرة من المشاركين والمشاركات عبّروا عن عدم موافقتهم على هذه الفكرة، لأنّ «اللغة حية» (المعلّمة 2)، ولأنّ «اللغة تتطور بطبيعتها حتى

من دون تدخّلنا» (المعلّم 8). في المقابل، ترى معلّمتان أنّ تطوّر اللغة، وإن كان أمرًا لا مفرّ منه، يُعدّ مرادفًا لما يُمكن تسميته "الافتقار اللغوي".

طرحتُ أيضًا على المعلّمات والمعلّمين سؤالًا حول رأيهم في العبارة التالية: «يجب الالتزام بالقواعد التي تقرّها الأكاديمية الفرنسية.» وقد عبّرت ستّ معلّمات عن موافقتهن على هذا الطرح، ما يعني أنّ أغلبية بسيطة من المشاركين تعتبر الأكاديمية جهةً لغوية ذات مشروعية. في المقابل، عبّر ثلاثة من المدرّسين والمدرّسات عن رفضهم لهذه الفكرة، بينما قدّم أحد المعلّمين إجابةً أكثر تحفّظًا. وقد طُرحت جملة من الحجج في هذا السياق: أوّلًا، شدّد شخصان على ضرورة وجود هيئة تضمن استقرار المعيار اللغوي، وإن كانت إحداهما لا تعترف بشرعية الأكاديمية الفرنسية بصفتها جهة تقنينية، نظرًا لطبيعة الآلية التي يتمّ من خلالها اختيار أعضائها. ثمّ أشار أحد المعلّمين إلى أنّ وجود قاعدة لغوية مشتركة يُعدّ أمرًا ضروريًّا لضمان التفاهم بين المتحدّثين، خاصّة في سياق تدريس اللغة الفرنسية لغةً أجنبية في الجامعة. وأكّد على أهمية مراعاة المعايير الضمنية السائدة في الوسط الجامعي، و«الإلزامات اللغوية» المرتبطة به (المعلّم 3)، إذا أراد المعلّمون (والمعلمات) تمكين المتعلّمين (والمتعلمات) من النجاح داخل فضاء جامعي ناطق بالفرنسية. ومع ذلك، فقد طوّر هذا المدرّس فكرة مفادها أنّ التنوّع اللغوي ينقل "أنماطًا ذهنية"، ويُضفي بذلك "ثراءً فكريًّا وتعبيريًّا على اللغة.

4.3. المعلّمون والمعلّمات، والمتعلّمون والمتعلّمات، في مواجهة التنوّع اللغوي

كان جميع المدرّسين والمدرّسات الذين شملتهم المقابلات ضمن هذه الدراسة على دراية مسبقة بموضوع تأنيث مسمّيات المهن. وقد أشار عددٌ من المتحدّثين بالفرنسية بوصفها لغة أولى إلى شعور بالارتباك أو الحيرة الذي قد يرافق هذا التحوّل اللغوي أحيانًا. تقول إحدى المدرّسات:

> « هو سائق، وهي + سائقة؟ على كلّ حال، كما ترين + وفي كل مرة أبحث وأنسى + ثم لا أجد صيغة مُرضية، وبالتالي + فلا أدري ماذا أقول لهم ») المعلّمة 1)

> « نعم... أظنّ أنّ هذا الأمر لم يُوضّح أبدًا، ولكنه يطرح إشكالًا بالنسبة لي ولهم أيضًا. في الحقيقة + عندما يستخدمونه

في تعبير كتابي، أو + عندما يتساءلون: هل نقول (الـ) الصيغة المذكرة أم المؤنثة؟ وأنا كذلك، أظنّ أنّه إلى حدّ ما + لا أدري حقًّا إن كان ينبغي أن أستخدم + الصيغة المؤنثة أم لا. ففي وقت من الأوقات، كان يُقال: السيدة الأستاذ، والسيدة العمدة. لذا نحاول متابعة النقاش، لكن كما قيل في البداية: من هو المرجع؟») المعلّمة 6)

« أعترف أنّ الأمر معقّد نوعًا ما، لأني حتى أنا لا أعرف إن كان بالإمكان إضافة (ـة) + أحيانًا أو لا ++ لأنّ كل المهن ليست + لم تُؤنّث بعد، + لا في فرنسا ولا في غيرها ++(مهندس) أظن أن فيه (ـة)، لكن [غير مسموع] ، يعني فيما يخص المهن ++ يبدو أن الأمر يتمّ + بحسب الإحساس اللحظي نوعًا ما + إذا قرّرت + بصراحة، الأمر غير واضح تمامًا في ذهني، أعترف بذلك.» (المعلّم 8)

ما يتبيّن أولًا من هذه الشهادات هو أن المدرّسين والمدرّسات الناطقين بالفرنسية بوصفها لغة أولى يتردّدون في صياغة بعض الصيغ المؤنثة أو في قبولها. وهذا التردد يربك موقفهم المهني ويضعف الطابع المعياري لخطابهم داخل الإطار التعليمي. وتُظهر أقوالهم أنّهم على وعيٍ بهذا التحوّل اللغوي الحديث، غير أنهم في الوقت ذاته يحتاجون إلى إطارٍ مرجعي واضح يوجّه اختياراتهم. وقد عبّرت إحدى المدرّسات صراحةً عن ذلك، متسائلةً عن «المرجع» الذي ينبغي الالتزام به.

وتحدّث أحد المعلّمين عن وجود نوع من المخاوف قائلًا: «هناك دائمًا، في الواقع، نوع من الخوف يلازم الأساتذة جميعهم + إنّه الخوف من أن يُعلّموا شيئًا لا وجود له أصلًا.» (المعلّم 8) أما بالنسبة لمعلّمة أخرى، فإنّ تدريس التنوّع اللغوي قد يكون مصدرًا للقلق لدى المتعلّمين:

« ثم إنّ هناك مواقف معيّنة + مثلًا، auteur [مؤلّف]، أُضيفت لها تاء في فترة من الفترات + أو عندما نعرض عليهم خيار auteur/autrice[مؤلف/مؤلّفة] + في الحقيقة، تبدأ حالة الهلع لديهم عندما نخبرهم بأنّ هناك عددًا كبيرًا من الخيارات الممكنة، فهم لا يحبّون هذا الأمر كثيرًا.» (المعلّمة أ، لغتها الأولى هي الفرنسية)

إن ترك حرية الاختيار للمتعلّمات والمتعلّمين قد يُنظر إليه من قِبل المعلّمات والمعلّمين على أنه نوع من المجازفة، لما قد يُحدثه من إرباك في العملية التعليمية. أمّا من جهة المتعلّمين، فتبدو مخاوفهم مرتبطة أساسًا بعدم اليقين بخصوص مدى وجود صيغة معينة من عدمها:» أحيانًا توجد صيغ مؤنثة بديلة [...] وأحيانًا لا توجد وبالتالي لا أتمكّن من إيجاد الكلمة المناسبة، وهذا يعيقني قليلًا أثناء الحديث + فهل أقول :طبيبة أم طبيب؟ أو امرأة طبيب مثلًا؟» (المتعلم/ة 10) وترى فيينو (2014)أنّ هذه اللايقينيّة اللغوية تكشف عن كون اللغة تمثّل « أداة تمييز بين من يعرفون ومن لا يعرفون » (ص 116) ، ويمكن، في نظرها، تجاوز هذا الإرباك من خلال اعتماد تأنيث منهجي ومنظّم؛ إذ تقول:« كلّما زاد عدد الاستثناءات داخل هذه السلاسل اللغوية، ازدادت صعوبة حفظها، وازدادت معه أهمية تلقّي تعليم خاصّ حول "الاستعمال الصحيح". » (المصدر نفسه)

في المقابل، أبدت إحدى المعلّمات انفتاحًا كبيرًا تجاه مسألة التنوّع اللغوي .وقد أوضحت في حديثها أنها تعلم بأنّ «الأكاديمية الفرنسية قامت بتأنيث بعض المهن» (المعلّمة 5). ثمّ شرحت بعضًا من تجاربها الصفّية قائلة:

> « على سبيل المثال، كلمة أستاذة : (une prof) ما زالت الغالبية تكتبها إلى اليوم مع حرف (r) فقط في النهاية، + فأقول لهم: نعم، هذا ليس خطأ. [تُقلّد صوت الطلاب] "آه، لماذا؟ هذا تمييز ضد النساء!" [ثم تعود إلى نبرتها العادية] مثل écrivaine، écrivain، auteur، autrice + يقولون لي مثل هذه الملاحظات، فأقدّم لهم الصيغ وأقول لهم: يمكنكم اعتمادها، + فليس فيها خطأ.» (المعلّمة 5)

يبدو أنّ هذه المعلّمة مرتاحة إزاء التعايش بين عدّة صيغ لغوية، رغم ما قد يطرأ بينها من تنافس في الاستعمال. وربّما يعود ذلك إلى معرفتها بخطاب الأكاديمية الفرنسية منذ سنة 2019، إذ يبدو أنّها تستند إلى مؤسّسة تعتبرها شرعية وموثوقة، وهو ما يُضفي في المقابل شرعية على خطابها داخل الصفّ. وبهذا، يمكنها أن تواجه المواقف السلبية لدى المتعلّمين والمتعلّمات إزاء ما يُنظر إليه على أنّه "تمييز لغوي"، من خلال تدريس صيغة مؤنثة لا تشكّك في وجودها ولا في مشروعيتها. ومع ذلك،

فإنّ مسألة الاعتراف المؤسّساتي بهذه الصيغ تظلّ ذات أهمية بارزة؛ إذ تقول معلّمة أخرى:» أشرح لهم أنّها ليست معترفًا بها رسميًّا بعد، ولكنّها صيغة حديثة جدًّا.» (المعلّمة 7، التركية هي لغتها الأولى).

تنعكس هذه المقاربة البيداغوجية في خطابات بعض المتعلّمين والمتعلّمات، الذين يُدركون وجود تفاوت في مدى قبول الصيغ المختلفة في تلقي أحد الطلبة:

> «هل الصيغة المؤنثة لكلمة أستاذ تُعدّ، مثلًا، مقبولة + ومستعملة بشكل عام؟ لأنّنا كنّا نضيف (ـة) في آخرها، لكن يبدو لي أنّ ذلك لم يُعمَّم بعد بالشكل الكامل.» (الطالب 14)

إنّ تعايش عدّة صيغ لغوية قد يؤدّي بدوره إلى شعورٍ بالقلق، وربما إلى لايقينيّة لغوية تُربك المتعلّمين في إنتاجهم وفهمهم.

5.3. توضيح الخيارات البيداغوجية لدى المعلّمات والمعلّمين

أفضت المقابلات الفردية ومجموعة النقاش إلى تحديد خمسة عوامل رئيسية يبدو أنّها تؤثّر في الاختيارات البيداغوجية للمعلّمين والمعلّمات، وهي: (1) الاحتكاك الشخصي باستعمالات الناطقين بالفرنسية؛ (2) الأكاديمية الفرنسية (3) كتب تعليم الفرنسية بوصفها لغة أجنبية(FLE) ؛ (4)المعاجم اللغوية؛ (5) الحساسية الشخصية تجاه القضايا النسوية.

بدايةً، أشار عدد من المدرّسين والمدرّسات إلى أنهم يستندون في اختيارهم إلى استعمالات الناطقين بالفرنسية، ويبرز هذا التوجّه بشكل خاص لدى المدرّسين الذين ليست الفرنسية لغتهم الأولى، والذين يسعون إلى مواكبة تحوّلات اللغة الفرنسية. تقول إحدى المدرّسات مثلًا: « أضيف التاء ++ في professeure[أستاذة]، لقد أجريت بحثًا صغيرًا على الإنترنت + ورأيت أنّ عددًا لا بأس به من الناس يستخدمونها، فاتخذت قراري بناءً على ذلك. » (المعلّمة 5، لغتها الأولى التركية)يمثّل هذا الموقف إذًا خيارًا مقصودًا لدى المدرّسة، من دون أيّ إحالة إلى الأكاديمية الفرنسية؛ إذ يُعدّ الاستعمال المنتشر بين المتحدّثين بالفرنسية هو المرجع المعياري الذي ينبغي تدريسه. وتستند أخريات إلى تجربتهن الشخصية في تلقّي اللغة الفرنسية؛ فتقول معلّمة أخرى: « ما زلتُ أرى في بعض المقالات كلمة écrivain [كاتب] تُستعمل للدلالة على امرأة، ولذلك

أجدني مضطرة لإخبار الطلبة بذلك + فأقول لهم: يمكنكم أن تروا هذا، لكن صيغة المؤنث مقبولة أيضًا.» (المعلّمة 5، لغتها الأولى العربية) وفي موضع آخر، تروي قائلة :« نعم، رأيت كلمة *mairesse* [رئيسة بلدية]، فقلت في نفسي: كيف لم أذكر هذه الصيغة لطلابي؟! » هنا، يبدو أن الاستعمال المثبَت في النصوص يفرض نوعًا من الالتزام البيداغوجي بذكر الصيغة داخل القسم. وتُبرّر المعلّمة اختيارها بتقديم الصيغ المتنافسة على أنّه ضرورة تعليمية:

> « إذا صاروا يتقنون الفرنسية، فسوف يقرؤون مقالات، ولذلك ينبغي أن يعرفوا هذه الصيغ. ++ فهذه [الصيغة] صحيحة، وتلك صحيحة أيضًا.+ فيجب أن يعرفوا كلتيهما، وعلى كلٍّ منهم أن يختار ما يناسبه. ++ لكن يجب علينا أن نعرض عليهم الخيارين. » (المعلّمة 5)

تسعى هذه المعلّمة إلى تهيئة طلبتها ليفهموا ويُحسنوا التواصل مع ناطقين آخرين بالفرنسية، وتُؤكّد في حديثها على البُعد التربوي الذي يُنمّي المسؤولية الفردية لدى المعلّمين؛ إذ يتمثّل هدفها في جعلهم واعين بخياراتهم اللغوية، ومسؤولين عنها.

ومن جهة أخرى، يرى أحد المدرّسين - وهو بالمناسبة من المؤيّدين لفكرة تعليم «اللغة المتداولة التي بصدد التطوّر» - أنّه من المهمّ تدريس الأسماء التي تستعمل فعليًّا من قبل الناطقين بالفرنسية، لكن دون الذهاب إلى حدّ إدخال صيغ مؤنثة نادرة جدًّا في الاستعمال. عندما طرحتُ عليه مسألة صيغة professeuse [مُدرّسة]، وهي صيغة نادرة لكنها أكثر اتّساقًا من الناحية الصرفية مقارنةً بـ professeure، أجابني مستفسرًا : « أنت تقولين لي إنّ professeuse تُقال... لكن، هل تُقال بما فيه الكفاية في اللغة المتداولة لنُدرّسها فعلًا؟» (المعلّم 8، لغته الأولى الفرنسية)

وتظلّ الأكاديمية الفرنسية مرجعًا يُستند إليه باستمرار. وقد أدّى التقرير الصادر عنها سنة 2019، والذي شكّل تحوّلًا ملحوظًا في موقفها، إلى إضفاء قدر من الشرعية على هذه الصيغ المؤنثة "الجديدة" في نظر بعض المدرّسات . (كما عبّرت إحداهن بالقول: « قامت الأكاديمية الفرنسية بتأنيث بعض المهن» (المعلّمة 5)). غير أنّ الموقف المحافظ الذي تبنّته الأكاديمية لسنوات، والذي عُرف بمعارضته العلنية لتأنيث

اللغة، يبدو أنّه ترك أثرًا بالغًا في تمثّلات المتعلّمين والمدرّسين لهذه الصيغ المؤنثة، من حيث شرعيتها وقبولها الاجتماعي.

من جهة أخرى، من المعروف أن كتب تعليم الفرنسية بوصفها لغة أجنبية (FLE) تمارس نوعًا من السلطة المعيارية على كلٍّ من المتعلّم والمعلّم على السواء (Ranchon، 2016، ص 42). وقد أشار عدد من المدرّسين والمدرّسات إلى الخيارات اللغوية التي تعتمدها هذه الكتب، فقال أحدهم: «كلمة professeure، التاء فيها موجودة أصلًا في كتاب Édito» (المعلّم 8)، وقالت أخرى: «مؤخرًا رأيت في كتاب بلجيكي موجّه للأطفال أنّه كُتب: docteur/docteure» (المعلّمة 5). وخلال جلسة النقاش التي جمعت ثلاث معلّمات كنّ يُحضّرن لحصّة في المستوى الأول A1 حول مسمّيات المهن، قمنا معًا بمراجعة عدد من الكتب التعليمية المختلفة (أنظر الشكل 1).

الشكل 1 :مقارنة بين أربعة كتب تعليمية في تعليم الفرنسية لغة أجنبية (FLE)في المستوى الأول A1حول تأنيث مسمّيات المهن.

الطبعة	**الاستثناءات المذكورة في الدرس**	**أمثلة على الأسماء المتعلّقة بالتأنيث**
Le nouveau Taxi ! (2009, p. 16)	« !دائمًا بصيغة المذكّر : الأستاذ (le professeur) »	في التمرين 1: «هي أستاذ»
La grammaire progressive du français – niveau débutant (2010, p. 12)	بعض المهن لا تتغيّر في صيغة التأنيث: هو أستاذ، هي أستاذ. هو طبيب، هي طبيب. هو كاتب، هي كاتب. هو مؤلّف، هي مؤلّف. لكن نلاحظ بشكل متزايد: هي أستاذة / كاتبة / مؤلِّفة.	
Édito A1 (2016, p. 42)		في تمرين الاكتشاف وردت كلمة :«أستاذ» .
Défi 1 (2018, p. 31)		في الدرس لا يوجد ذكر لكلمة أستاذ، ولكن ورد: «هو معلّم - هي.... »

تُعدّ كلمة professeur·e [أستاذ/أستاذة] مثالًا تمثيليًا واضحًا للتطوّر الذي شهدته اللغة في هذا السياق، حيث ننتقل من القاعدة القديمة -التي كانت تقضي بعدم تصريف الاسم أو أداة التعريف - كما في سنة 2009، إلى الإشارة إلى وجود اختلافات في الاستعمال سنة 2010، ثم إلى اعتماد الصيغة الصرفية (professeure)كقاعدة مقرّرة في عام 2016. أما عدم ورود هذه الكلمة في درس من دروس كتاب (Défi 1) في 2018، فيمكن تأويله بطريقتين: إمّا باعتباره تجنّبًا مقصودًا لمصطلح يُعدّ إشكاليًّا، أو على العكس، بوصفه علامةً على تبنّي صيغة professeure بشكل شائع ومستقرّ إلى درجة لم تعد تستدعي التنويه بها في الدرس. ومن المثير للاهتمام ملاحظة أن الكتب التعليمية الأحدث لا تذكر شيئًا عن النقاش أو التعايش بين الصيغ المختلفة، في مستوى المستوى الأول A1 . غير أنّ هذه النقاشات تظهر بالفعل في كتاب Édito B1 (2018)، ضمن قسم «الحضارة».

تُعدّ المعاجم عاملًا مهمًّا آخر في تحديد الخيارات البيداغوجية للمعلّمين والمعلّمات، وإن كان قليلا ما يستشهد بها، مقارنةً بالأكاديمية الفرنسية، بوصفها سلطة لغوية مرجعية في خطابات المشاركين في هذه الدراسة. وقد أشارت إحدى المدرّسات إلى أنّها تمنح طلبتها قدرًا كبيرًا من الاستقلالية في هذا المجال، قائلة:

> « ليس من واجبي أن أعدّ معهم القائمة كاملة داخل الصف، ولا أن أقدّم لهم اللائحة مكتملة + الأمر راجع إليهم أيضًا، مثلًا + حين يقدّمون شخصًا، أو يقدّمون كاتبًا... + أو كاتبة،+ عليهم هم أيضا أن يتحقّقوا بأنفسهم مما إذا كانت هناك صيغة مؤنثة، وأن يلجؤوا إلى المعاجم والقواميس وما إلى ذلك. » (المعلّمة Z، لغتها الأولى هي التركية)

وبما أنّ الصيغ المؤنثة لمسمّيات المهن باتت موجودة في المعاجم، فإنّ هذه الإستراتيجية تُسهم أيضًا في إضفاء الشرعية عليها، بحكم أنّها تُقدَّم من خلال مصدر موثوق وذي سلطة لغوية.

وفي سياقٍ آخر، تُعدّ حساسية المعلّمين والمعلّمات الشخصية عاملًا مهما في تحديد اختياراتهم البيداغوجية. فقد أوضحت لي إحدى المعلّمات،

على سبيل المثال، أنّها ترى أنّ اللغة الفرنسية "لغة ذات طابع تمييزي ضد النساء"، وأنّ قرارها إدخال صيغ مؤنثة نابعة من حركة التأنيث كان خيارًا شخصيًّا: «اتّخذتُ هذا القرار + لأنه أمر مهمّ بالنسبة لي» (المعلّمة 7، لغتها الأم هي التركية).

6.3. الجدل حول اللغة: إثراء لعملية تعليم الفرنسية وتعلّمها بوصفها لغة أجنبية

لقد أثارت مسألة تأنيث أسماء المهن جدلاً واسعًا. وهذه المناقشات حول اللغة تُعَدُّ جزءًا لا يتجزأ من تعليم الفرنسية لغة أجنبية، إذ أنّ تكوين ثقافة لغوية يقتضي أيضًا «الوعي بطبيعة وأهمية البعد الثقافي للسلوك اللغوي» (Holec، 1991، ص 3). وقد أولى عدد من المعلّمين والمعلّمات المشاركين في الدراسة أهمية كبرى لهذا الجانب، وإنْ كانت هذه القضايا تُعدّ غالبًا معقّدة أكثر من اللازم في المستوى الأول A1، خصوصًا عند تعلّم أسماء المهن. وقد قرّرت إحدى المعلّمات تناول هذا الموضوع بشكل أعمق في المستويين الأعلى B2 وC1، مبرّرةً ذلك بأهمية مهارة الحجاج في التحضير لاجتياز امتحاني DELF وDALF، إذ تُدرَج النقاشات حول اللغة ضمن موضوعات المجتمع والحجاج، وتنسجم بذلك انسجامًا تامًّا مع الأهداف البيداغوجية.

> « في الواقع، يعجبهم أن يتلقّوا هذه المعلومات أعني أن يتمّ + كيف أقول + إدخالهم في النقاش وإطلاعهم على الأمور [...] فامتلاك هذه المعلومات يُعَدّ مكسبًا + كغيرها من المعارف + وبعدها يكون لهم الخيار، + نعم، ++ أعتقد أنهم يدركون في مستويي B2 و C1 أنّه بإمكانك إتقان اللغة إلى درجة تخوّل لك الاختيار ++ والدفاع عن اختيارك إذا طُرِحت تساؤلات حول سبب استعمالك لتلك الصيغة » (المعلّمة 6، لغتها الأم هي الفرنسية).

إنّ التطرّق إلى هذه النقاشات يُفضي إلى تعليم يُنمّي حسّ المسؤولية، ويتيح لكلّ واحد وواحدة أن يُجري اختياراته اللغوية عن وعي وبصيرة، وأن يكون قادرًا على الدفاع عنها.

خاتمة:

تُثير عمليةُ تأنيثِ أسماء المهن تساؤلاتٍ جوهريةً في ميدان تعليم الفرنسية لغةً بوصفها أجنبية. فهي تُذكّر أوّلًا بأنّ تحول اللغة التي تُعيد النظر في مفهوم "الفرنسية المعيارية" لها مكانٌ مشروعٌ داخل تعليم اللغة الفرنسية، سواء تعلّق الأمر بتأنيث أسماء المهن، أو باستخدام اللغة العامية، أو بالأشكال الشفاهية من التعبير، ما دام الهدف يتمثّل في تمكين المتعلّمات والمتعلّمين من فهم الناطقين بالفرنسية والتواصل معهم.

وقد يُشكّل تعليم تأنيث أسماء المهن فرصةً لإبراز أنّ تحول اللغة الفرنسية لا يقتصر على فرنسا الميتروبوليتانية، وذلك من خلال شرح أنّ هذه التحوّلات قد بدأت أساسًا في كيبيك وبلجيكا وسويسرا. وهكذا، يمكن لتأنيث أسماء المهن أن يُسهم في إحداث نوعٍ من اللامركزية في تعليم اللغة الفرنسية وتعلّمها.

من جهةٍ أخرى، يُتيح تدريس هذا التطوّر إقامةَ علاقةٍ نقدية مع المعرفة؛ فالحديث عن التأنيث، أو بالأحرى عن "نزع الطابع الذكوري" (Viennot, 2014) من أسماء المهن، يُمكّن من توضيح الدور الذي اضطلعت به الخطابات الذكورية في تاريخ اللغة. كما يسمح هذا التعليم بالردّ على المواقف السلبية التي قد يُبديها بعض المتعلّمات والمتعلّمين تجاه ما يُسمّى "ذكورية اللغة الفرنسية"، من خلال الكشف عن وجود بدائل تعبيرية أخرى، وترك حرية تبنّيها للمتعلّمين، استنادًا إلى تأمّلٍ نقدي في السلطة التي تمارسها اللغة.

الإحالات

1. <https://www.lefigaro.fr/langue-francaise/actu-des-mots/madame-la-premiere-ministre-que-faudra-t-il-dire-si-une-femme-est-nommee-a-la-tete-du-gouvernement-20220516> (consulté le 21 septembre 2022).

2. نقلت الاقتباسات كما هي، دون أي تعديل يجعلها مطابقة للمعايير النحوية. رموز التنقيط المستخدمة في التفريغ: + وقفة قصيرة، ++ وقفة طويلة، خط مائل :يشير إلى اقتباس مباشر.

تعليقات المترجمة:

[i] Une langue qui évolue الترجمة الحرفية لغة في طور التطور ، الترجمة السياقية الدقيقة لغة في قيد التحول. الفرق بين évolution في الخطاب العام والاختيار المصطلحي في سياق البحث مهم: قد تعني، كلمة évolution في اللغة الفرنسية عمومًا التطور، التغير التدريجي، أما كلمة التحول. فهي أوسع من كلمة développement التي تحيل أكثر إلى "التطور نحو التقدم".

في هذا المقال ... féminisation des noms de métiers لا تعرض الكاتبة قضية التأنيث كتطور طبيعي أو تقدّم بالضرورة، بل في صميم تحول

لغوي-اجتماعي بكل تداعياته (mutation / transformation) من بنية تذكيرية إلى بنية مؤنثة.

[ii] مسميات المهن: (Job Titles / Appellations professionnelles / المسميات الوظيفية (هي عبارات اصطلاحية تُستخدم للدلالة على موقع الفرد أو وظيفته داخل تنظيمٍ مهني أو مؤسسة ما. وتُعدّ هذه المسميات أداةً للتعريف بالهوية المهنية، وتحديد نطاق المسؤوليات والمهام، فضلًا عن كونها وسيلة للتدرج الوظيفي وإبراز الوضع الاجتماعي والاقتصادي لصاحبها. وتختلف المسميات المهنية باختلاف القطاعات والسياقات الثقافية واللغوية، غير أنّها تؤدي دورًا أساسياً في التواصل التنظيمي والتوصيف الوظيفي، وتدخل في أنظمة الموارد البشرية والاتفاقيات الجماعية والتشريعات العمالية.

ينظر في: أنظمة العمل الدولية، التصنيف الدولي المعياري للمهن، ISCO-08، 2012.

International Labour Organization (ILO). International Standard Classification of Occupations: ISCO-08. Geneva: ILO, 2012.

[iii] الفرانكفونية (La Francophonie) مصطلح يشير، في معناه المعاصر، إلى الفضاء اللغوي-الثقافي والسياسي الذي يجمع الدول والمجتمعات التي تعتمد الفرنسية لغةً رسمية أو ثقافة مشتركة. وهو لا يقتصر على البعد اللغوي فحسب، بل يتسع ليشمل أبعادًا جيوسياسية واقتصادية وثقافية، حيث يمثل إطارًا للتعاون والتبادل بين أعضائه، وقد تكرّس هذا المفهوم مؤسسيًا بإنشاء "المنظمة الدولية للفرانكفونية" عام 1970.

ينظر في:

Calvet, L.-J. (1999). La Francophonie: Histoire, mythes et enjeux. Paris: Flammarion.

[iv] تناوب اللواحق: تستخدم العبارة المصطلحية "تناوب اللواحق (Suffix Alternation)" في الدراسات اللسانية لوصف الظاهرة التي يتم فيها تعاقب أو تبديل صيغ لاحقة صرفية معينة في الكلمة تبعًا للسياق النحوي أو الصرفي أو الصوتي. ويدخل هذا المفهوم ضمن علم الصرف(morphology) ، ولا سيما في إطار دراسة الاشتقاق والتصريف حيث يمكن أن تحل لاحقة مكان أخرى للدلالة على وظيفة صرفية أو نحوية محددة. من أهم اللغات التي تتميز بهذه الظاهرة الثرية اللغة العربية واللغة الإنجليزية.

مثال في اللغة الإنجليزية: تتناوب اللواحق مثل ic- و / ical- (economic / economical).

مثال في العربية: يظهر في الاشتقاق تناوب بين -ون و-ين في جمع المذكر السالم (معلمون / معلمين) تبعًا للموقع الإعرابي.
ينظر في:

Booij, G. (2007). The Grammar of Words: An Introduction to Linguistic Morphology. Oxford University Press

[v] في الفرنسية القديمة والوسطى (من القرن 12 إلى 16 تقريبًا) كان الحرف chأحيانًا يُختصر إلى c أو يُكتب بطريقة غير مستقرة، فنجد مثلاً : cirurgien, cirurgienne، إلى جانب.chirurgien
سبب الكتابة Cirurgienne بدل:Chirurgienne
التطور الصوتي: في اللاتينية المتأخرة والفرنسية القديمة إذ لم يكن النطق الصوتي للحرف "chi" مستقرًا، فظهر أحيانًا على شكل."ci"
وغياب التقييس الإملائي: لم يكن للفرنسية القديمة قواعد إملاء مضبوطة كما اليوم، فكان نفس الكاتب أحيانًا يكتب الكلمة بأكثر من شكل.
والاقتراض المباشر من اللاتينية: الصيغة cirurgien(ne) أقرب إلى chirurgusاللاتينية، قبل أن يستقر الشكل المحدث "chirurgien(ne)" مع الإصلاحات الإملائية الحديثة.
لمزيد من التوسع ينظر في:

Greimas, A. J. & Keane, T. (1992). Dictionnaire de l’ancien français. Paris: Larousse.

Rey, A. (dir.) (1998). Dictionnaire historique de la langue française. Paris: Le Robert.

[vi] الاعتياد اللغوي(Familiarité linguistique)

هي ميل المتكلم إلى قبول صيغة أو تركيب معين لأنه مألوف في سمعه واستعمال جماعته اللغوية، حتى وإن لم يكن مطابقًا دائمًا للقواعد الصارمة .
ويرتبط الاعتياد اللغوي بالجانب النفسي والاجتماعي للغة، أي بما تعوّد عليه الناس من صور لغوية متداولة.، ويؤدي الاعتياد إلى الاستعمال الذي هو الاستعمال عنده هو المرجع الأساس في دراسة اللغة، لأنه يمثل ما هو حيّ ومتداول في المجتمع، بينما القاعدة النحوية ليست سوى تقنين أو وصف لهذا الاستعمال.
يقول تمام حسان:

"إن الذوق اللغوي أو الاعتياد اللغوي وليد التكرار والاستعمال، فما يألفه الذوق يثبت في اللغة، وما ينفر منه يسقط منها"

تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، 1979، ص 74

[vii] المصطلح الأصلي :مشكل مركب مصطلحي الأول بمعنى تنوع بينما تجب مناقشة اشتقاق المصطلح الثاني Variation diatopique

-) -diaمن اليونانية :(διά)تعني "عبر" أو "بحسب."
- topos (τόπος):تعني "المكان" أو "الموضع."
- :ique-لاحقة فرنسية) عن اللاتينية (icus- لتشكيل الصفات.

إذن " = diatopique ما يختلف باختلاف المكان."

والمقابل " = diversité diatopique التنوّع بحسب المكان."

يستعمل المصطلح في اللسانيات الاجتماعية (خاصة عند كوسيريو Coseriu بمعنى:التنوّع الدياتوبيقي أحد أبعاد التنوّع اللغوي الذي يُحيل إلى الاختلافات اللسانية المرتبطة بالتوزيع الجغرافي للمتكلمين، أي الفروق بين اللهجات المحلية أو الإقليمية ضمن اللغة الواحدة. ويظهر في مستوى النطق والتركيب بصفة خاصة. للتوسع في تعريف المصطلح ينظر في:

Coseriu, Eugenio. Einführung in die allgemeine Sprachwissenschaft. Tübingen: Francke, 1970

وعن خيارات ترجمته إلى اللغة العربية نلاحظ استعمال الوحدة المصطلحية المقابلة بالترجمة الحرفية والتكافؤ الوظيفي التنوّع الجغرافي، والترجمة شائعة لكنها عامة لأن معنى الجغرافي أعم وتفتقر إلى الدقة السياقية. والترجمة الثانية التنوع اللهجي وإن كانت دقيقة إذا حصرنا الدلالة في اللهجة لكنها لا تشمل الفروق في اللغة المعيارية ذاتها. يحظى هذا المركب المصطلحي بالتواتر في أدبيات الترجمة اللسانية.

غير أنني أفضل الترجمة بالمصطلح المركب التنوع الإقليمي وأراه الأدق لأنه يحيل مباشرة على دلالة المكان المحدد topos وله علاقة مباشرة بمجال اللسانيات الاجتماعية، ويتميز عن التنوع الجغرافي الذي يتناول فروقا شاملة وعالمية، بينما يخصص التنوع الإقليمي طبيعة الدراسة في البعد المكاني للتنوّع اللغوي، ويشير إلى الاختلافات اللسانية (صوتية أو معجمية أو نحوية) الناتجة عن تباين المواطن الجغرافية للمتكلمين داخل اللغة الواحدة. أي الخصوصيات اللغوية في لغة من اللغات. وأكيد أن طبيعة الدراسة ستختلف.

قائمة المراجع

Académie française. (2014). La féminisation des noms de métiers, fonctions, grades ou titres. Mise au point de l'Académie française.

Académie française. (2019). La féminisation des noms de métiers et de fonctions.

Alcaraz, Marion, Braud, Céline, Calvez, Aurélien, Cornuau, Guillaume, Jacob, Anne, Vidal, Sandrine & Pinson, Cécile. (2016). Édito A1. Didier FLE.

Arbour, Marie-Ève, De Nayves, Hélène & Royer, Ariane. (2014). Féminisation linguistique : étude comparative de l'implantation de variantes féminines marquées au Canada et en Europe. Langage et société, 148(2), 31-51. https://doi.org/10.3917/ls.148.0031.

Brauer, Markus. (2008). Un ministre peut-il tomber enceinte ? L'impact du générique masculin sur les représentations mentales. L'Année psychologique, 108(2), 243-272.

Capelle, Guy & Ménand, Robert. (2009). Le Nouveau Taxi ! 1 – Livre de l'élève. Hachette.

Cerquiglini, Bernard, Becquer, Annie, Coutier, Martine, Cholewka, Nicole, Frecher, Josette & Mathieu, Marie-Josèphe. (1999). Femme, j'écris ton nom. Guide d'aide à la féminisation des noms de métiers, titres, grades et fonctions (CNRS/INaLF [Institut national de la langue française]).

Chatard-Pannetier, Armand, Guimont, Serge & Martinot, Delphine. (2005). Impact de la féminisation lexicale des professions sur l'auto-efficacité des élèves : une remise en cause de l'universalisme masculin ? L'Année psychologique, 105(2), 249-272. https://doi.org/10.3406/psy.2005.29694.

Coady, Ann. (2020). Jardin à la française ou parc à l'anglaise ? Les idéologies linguistiques : des freins au langage non sexiste. Cahiers du genre, 69(2), 59-83. https://doi.org/10.3917/cdge.069.0059.

Denyer, Monique. (2018). Défi 1. Maison des langues.

Dufour, Marion, Mainguet, Julie, Mottironi, Eugénie, Opatski, Sergueï, Perrard, Marion & Tabareau, Ghislaine. (2018). Édito B1. Didier FLE.

Elmiger, Daniel. (2008). La féminisation de la langue en français et en allemand. Querelle entre spécialistes et réception par le grand public. Honoré Champion.

Évain, Aurore. (2008). Histoire d'« autrice », de l'époque latine à nos jours. Femmes et langues, Sêméion. Travaux de sémiologie, 6, 53-62. www.auroreevain.com/2016/09/25/histoire-d-autrice/.

Fracchiolla, Béatrice. (2008). Anthropologie de la communication : la question du féminin en français. CORELA – Cognition, Représentation, Langage, 6. https://doi.org/10.4000/corela.286.

Fujimura, Itsuko. (2005). La féminisation des noms de métiers et des titres dans la presse française (1988-2001). Mots. Les

langages du politique, 78, 37-52. https://doi.org/10.4000/mots.355.

Grégoire, Maïa. (2010). Grammaire progressive du français. Niveau débutant. CLE International.

Gygax, Pascal, Elmiger, Daniel, Zufferey, Sandrine, Garnham, Alan, Sczesny, Sabine, Von Stockhausen, Lisa, Braun, Friederike & Oakhill, Jane. (2019). A Language Index of Grammatical Gender Dimensions to Study the Impact of Grammatical Gender on the Way We Perceive Women and Men. Frontiers in Psychology, 10.

https://doi.org/10.3389/fpsyg.2019.01604.

Holec, Henri. (1991). Autonomie de l'apprenant : de l'enseignement à l'apprentissage. Éducation permanente, 107.

Houdebine-Gravaud, Anne-Marie. (1999). Femmes / langue / féminisation : une expérience de politique linguistique en France. Nouvelles questions féministes, 20(1), 23-52.

Michel, Lucy. (2016). La relation entre genre grammatical et dénomination de la personne en langue française : approches sémantiques (Thèse de doctorat non publiée). Université de Bourgogne, Dijon.

Moreau, Marie-Louise & Dister, Anne. (1994). Mettre au féminin. Guide de féminisation des noms de métier, fonction, grade ou titre. Fédération Wallonie-Bruxelles.

Office québécois de la langue française. (1986). Titres et fonctions au féminin : essai d'orientation de l'usage.

Office québécois de la langue française. (1990). Au féminin. Guide de féminisation des titres de fonction et des textes.

Ranchon, Grâce. (2016). Une didactique de la langue, de la culture, et du genre. Le manuel de FLE : discours et réalisations (Thèse de doctorat non publiée). Université Jean Monnet Saint-Étienne.

Richy, Célia & Burnett, Heather. (2021). Démêler les effets des stéréotypes et le genre grammatical dans le biais masculin : une approche expérimentale. GLAD! Revue sur le langage, le genre, les sexualités, 10. https://doi.org/10.4000/glad.2839.

Viennot, Éliane. (2014). Non, le masculin ne l'emporte pas sur le féminin ! Petite histoire des résistances de la langue française. Éditions iXe.

التعريف بالمؤلفة:

إليونور دو بومون (Éléonore de Beaumont) باحثة فرنسية متخصصة في علم اللغة وتعليم اللغة الفرنسية بوصفها لغة أجنبية (FLE) تعمل في المختبر ATILF (Analyse et Traitement Informatique de la Langue Française) التابع لجامعة لورين، ضمن فريق "ذيداكتيك اللغة والتواصل / علم اللغة التحليلي" (مُركّز علم تعليم اللغة وتحليلها) يمكن زيارة هذه الروابط. لمزيد من التعرف على المؤلفة وأعمالها:

- IDREF: https://idref.fr/236664670
- VIAF: http://viaf.org/viaf/7515625180050799149
- جامعة لورين، ATILF UMR 7118 CNRS/UL

ملخص المقال:

تتناول هذه الدراسة إحدى التحوّلات المعاصرة التي شهدتها اللغة الفرنسية، والمتمثلة في تأنيث مسمّيات المهن، في مجال تعليمية الفرنسية بوصفها لغةً أجنبية (FLE). وبعد عرضٍ زمني لمسار هذا التحوّل وسبرٍ لمختلف أبعاده السياسية والاجتماعية، ترتكز الباحثة على دراسة ميدانية أُجريت خلال عامي 2021 و2022 مع عيّنة من المعلّمين والمعلّمات، والمتعلّمين والمتعلّمات لتحليل كيفية إدماج الأسماء المؤنثة الناتجة عن هذا التحوّل في تعليم الفرنسية بوصفها لغة أجنبية. وتُبرز نتائج الدراسة العلاقةَ الوثيقة، والمتوتّرة أحيانًا، بين التحوّل والتنوّع اللغوي من جهة، وسلطة المعايير والهيئات اللغوية المعيارية من جهة أخرى. غير أنّ هذا التطوّر يكشف أيضًا عن إمكانات تربوية جديدة، إذ يمثل فرصة لتوجيه أنظار المتعلّمين نحو استعمال الناطقين باللغة الفرنسية، وينمّي حسًّا نقديًّا تجاه المعرفة، بما يسهم في تطوير وعي لغوي يقظ وممارسات تواصلية أكثر إدراكًا وسدادًا.

الكلمات المفتاحية: تعليمية الفرنسية بوصفها لغة أجنبية، التأنيث اللغوي، النوع الاجتماعي واللغة، مسمّيات المهن.